

موجز النتائج

تحقيق أطباء بلا حدود الداخلي في هجوم 15 أغسطس/آب
على مستشفى عبس
اليمن

27 سبتمبر/أيلول 2016

توجز هذه الوثيقة النتائج التي توصل إليها التحقيق الداخلي في الهجوم الذي وقع على مستشفى عبس الريفي الذي تدعمه منظمة أطباء بلا حدود في محافظة حجة في اليمن، على أن يتم نشر تقرير أكثر تفصيلاً في القريب العاجل. يهدف هذا التحقيق إلى التأكد من الملائمة المحيطة بالهجوم الذي طال المستشفى والتثبت من إمكانية ضمان سلامة وأمن الكوادر والعمليات على الأرض في اليمن. نُفذ التحقيق بمعرفة مستشار للشؤون الإنسانية تابع لأطباء بلا حدود موجود في المقر الرئيسي للمنظمة في برشلونة، وبدعم هام من موظفي أطباء بلا حدود السابقين والحاليين المشاركين في العمليات الجارية في اليمن على مستوى المقر الرئيسي والمستوى الميداني.

لأغراض هذه المراجعة الداخلية، أُجريت 35 مقابلة مع موظفين أساسيين من بعثة أطباء بلا حدود في اليمن ومشروع مستشفى عبس، من ضمنهم شهود عيان على الهجوم مباشرة، ومع مرضى كانوا في المستشفى وقت تنفيذ الضربة الجوية. بالإضافة إلى ذلك، استُعرضت وثائق داخلية وخارجية، وتحليلات لسباق اليمن، وصور فوتوغرافية.

مقدمة

في يوم الاثنين الموافق 15 أغسطس/آب، الساعة 3:40 مساءً بالتوقيت المحلي، تعرض مستشفى عبس الريفي الكائن في محافظة حجة في شمال غرب اليمن لضربة جوية أسفرت عن مقتل 19 شخصاً من ضمنهم أحد موظفي أطباء بلا حدود وإصابة 24 شخصاً آخرين. كان يوجد ساعة شن الهجوم 23 مريضاً في جناح الجراحة و25 في جناح الأمومة و12 في جناح طب الأطفال و13 طفلاً حديث الولادة في مستشفى عبس.

شكلت هذه الضربة الجوية الهجوم الخامس والأشد فتكاً على خدمة طبية تدعمها أطباء بلا حدود في اليمن خلال العام الفائت، وذلك في خضم هجمات لا تحصى على منشآت وخدمات طبية أخرى في كل أنحاء البلد. وكانت الهجمات الأربعة الأخرى التي طالقت خدمات طبية تدعمها أطباء بلا حدود كالتالي: مستشفى حيدان الواقع في محافظة صعدة في 26 أكتوبر/تشرين الأول 2015؛ وعبادة متنقلة في مديرية الحويان بمحافظة تعز في 2 ديسمبر/كانون الأول 2015؛ ومستشفى شعارة الواقع في مديرية رازح التابعة أيضاً لمحافظة صعدة في 10 يناير/كانون الثاني 2016؛ وسيارة إسعاف تابعة للمستشفى الجمهوري في بلدة صعدة في 22 يناير/كانون الثاني 2016.

عملية أطباء بلا حدود الإنسانية في عبس

تعمل منظمة أطباء بلا حدود في اليمن منذ عام 1994. بعد اندلاع شرارة صراع مارس/آذار 2015، وسّعت أطباء بلا حدود عملياتها في كل أنحاء البلد بدعم شبكة المستشفيات شديدة الضعف في اليمن وتقديم الرعاية للسكان النازحين والمتعاشين مع أمراض مزمنة. في أعقاب الأعداد الكبيرة من النازحين فراراً من العنف الدائر في مديرية حرض بعد البدء في الهجمات الجوية في ربيع 2015، شرعت أطباء بلا حدود في تقديم المساعدات الطبية للنازحين المشردين داخلياً. وفي يوليو/تموز 2015، قررت أطباء بلا حدود دعم إعادة تأهيل مستشفى عبس الواقع في بلدة عبس لأنه كان المستشفى الوحيد العامل في الجزء الغربي من محافظة حجة. يعتمد ما يقدر بـ77 في المائة من سكان مديرية حجة على المساعدات الإنسانية، ويعيش أكثر من ثلثي سكانها تحت خط الفقر الوطني. علاوة على ذلك، تستضيف حجة ثاني أكبر تركيز للنازحين المشردين داخلياً في اليمن (بعد عدن وبالتساوي مع تعز) مع عيش نحو 300 ألف من النازحين المشردين داخلياً في مخيمات مؤقتة وبين الأهالي المستضيفين شديدي الضعف.

في أعقاب إعادة تأهيل أطباء بلا حدود لمستشفى عبس بين شهري أغسطس/آب ونوفمبر/تشرين الثاني 2015، صار بالمستشفى غرفة طوارئ مجهزة تحتوي على 14 سريراً، وغرفة عمليات، وقسم للأطفال، وجناح للأمومة. عولج أكثر من 14 ألف مريض في مستشفى عبس منذ أن بدأت أطباء بلا حدود دعم أنشطته قبل أكثر من سنة. قبل الهجوم الذي وقع على المستشفى، كان لدى منظمة أطباء بلا حدود طاقم مؤلف من 205 فرداً من ضمنهم الفريق الدائم من الطاقم الدولي (ثمانية أفراد من الطاقم الدولي في أغسطس/آب 2016) وطاقم وطني قوامه أكثر من 160 فرداً وحوالي 30 موظفاً تابعاً لوزارة الصحة يتقاضون حوافز تدفعها أطباء بلا حدود.

فيما بين يوليو/تموز 2015 ويوليو/تموز 2016 حضر كادر مستشفى عبس 1631 حالة ولادة من ضمنها أكثر من 160 ولادة قيصرية في الأشهر السبعة الأخيرة. عالجت غرفة الطوارئ أكثر من 12 ألف مريض ارتبطت إصابة أقل من ربعهم بالصدمة، وكانت الغالبية العظمى منهم حالات حادة في مجال الأمراض الباطنة. في الشهر السابق على الضربة الجوية ضد المستشفى، كان في المائة من جميع مرضى غرفة الطوارئ أطفالاً دون الخامسة من أعمارهم، بإجمالي 1540 حالة. عالج مستشفى عبس أعداداً قليلة من مصابي الحرب، مما يعكس تشكيلة السكان التي يغلب عليها المدنيون والأمن النسبي الذي تتمتع به المنطقة بعيداً عن خطوط الجبهة. لم يعالج المستشفى غير 161 حالة من مصابي الحرب في النصف الأول من 2016، مقارنة بأكثر من 750 مصاب حرب عالجهم المستشفى الجمهوري في مدينة حجة.

بالإضافة إلى عمل أطباء بلا حدود في مستشفى عبس، عكفت منذ أغسطس/آب 2016 على توفير مياه الشرب لـ 16 ألف نازح مشرد داخلياً في المنطقة المحيطة ببلدة عبس، حيث قامت بتركيب خزانات مياه مرنة و عملت على توفير المياه بانتظام لتلبية الحد الأدنى من المعايير الإنسانية. من خلال منظومة من العيادات المتنقلة، دأبت فرق أطباء بلا حدود أيضاً على تقديم الرعاية الطبية الأساسية للسكان المقيمين في المناطق النائية، بجانب رصد الوضع التغذوي، إذ تعاني المنطقة من ارتفاع معدلات سوء التغذية المتوطنة المزمنة والحادة.

الضربة الجوية ضد مستشفى عبس في 15 أغسطس/آب 2016

في 15 أغسطس/آب 2016، الساعة 3:40 مساءً بالتوقيت المحلي، أطلقت طائرة مقذوفاً على مستشفى عبس دون سابق إنذار أو اتصال مع بعثة أطباء بلا حدود. ارتطم الصاروخ بالمنطقة الواقعة بين غرفة الطوارئ/ منطقة الفرز والتصنيف وقسم العيادات الخارجية.



ونورد فيما يلي الأحداث التي وقعت في مستشفى عبس أو الوثيقة الصلة بأنشطة المستشفى في اللحظات السابقة على الهجوم.

التاريخ	التوقيت المحلي (تقريباً)	الحدث
16/08/15	03:00 م - 03:15 م	3 ضربات جوية بين البيضاء والربوغة (على بعد 10 كم من المستشفى). أطباء بلا حدود تفعل خطة إدارة الإصابات الجماعية
	3:12 م تقريباً	سماع العاملين صوت طائرة تحلق فوق المستشفى
	03:00 م - 03:30 م	نظراً لعدم حدوث تدفق للمصابين، أطباء بلا حدود تعطل خطة إدارة الإصابات الجماعية
	03:35 م تقريباً	مركبة مدنية تحضر مرضى تشير التقارير إلى إصابتهم نتيجة الضربة الجوية إلى مستشفى عبس (عدد الأشخاص والمصابين في السيارة غير واضح)؛ وتشير التقارير إلى ارتداء الركاب ملابس مدنية وعدم وجود أسلحة ظاهرة للعيان داخل المركبة.
	03:35 م تقريباً	سماع صوت طائرة تحلق على علو منخفض.
	03:40 م	ضربة جوية على مستشفى عبس، ويسقط الصاروخ على المركبة المدنية التي دخلت المجمع قبل ذلك بدقائق والمتوقفة أمام غرفة الطوارئ.
	04:12 م	يجري فريق أطباء بلا حدود الميداني اتصالاً بمكتب اتصال أطباء بلا حدود في جيبوتي ويبلغه بالضربة الجوية على مستشفى عبس (3 ضربات جوية سابقة في المنطقة ورابعة على المستشفى)
	04:15 م	مكتب اتصال أطباء بلا حدود في جيبوتي يجري اتصالاً بلجنة الإخلاء والعمليات الإنسانية التابعة للتحالف الذي تقوده السعودية. طلب الكف عن قصف المنطقة. لجنة الإخلاء والعمليات الإنسانية تقول إنه هجوم حوثي وتفيد بأنها ستعاود الاتصال
	04:15 م	طاقم المستشفى يصل إلى مكتب أطباء بلا حدود بصحبة 3 مصابين وقتيل؛ إنشاء مركز اسعاف في قاعة الاجتماعات
	04:20 م	مطالبة طاقم أطباء بلا حدود في مستشفى عبس بأن يكون في وضع الاستعداد في غرفة العمليات حتى إشعار آخر
	04:30 م	مكتب اتصال جيبوتي يجري اتصالاً بجنرال سعودي، ولا يتلقى رداً
	04:51 م	الجنرال السعودي يجري اتصالاً بمكتب اتصال جيبوتي ويخبره بأنهم سيأمرون الطائرات بالابتعاد وبأنه سيعاود الاتصال.
	04:57 م	الجنرال السعودي يعاود الاتصال بمكتب جيبوتي ويخبره بمنح فرصة 3 ساعات (تعلق العمليات العسكرية). وبعد مناقشة الموقف على الأرض، يقول الجنرال إن هدف الضربة كان مركبة متحركة دخلت مجمع المستشفى.
	05:11 م	الجنرال السعودي يجري اتصالاً بمكتب اتصال جيبوتي ويمدد زمن تعليق العمليات العسكرية إلى 4 ساعات، مبيناً أن بإمكان أطباء بلا حدود طلب تمديد.
05:15 م - 05:25 م	فريق أطباء بلا حدود الذي كان في المكتب ينتقل إلى المستشفى للاستجابة للحاجات الطبية وتقييم الأضرار.	
10:56 م	أطباء بلا حدود تصدر بياناً صحفياً للإبلاغ عن الهجوم وإدانته	
16/08/18	مساءً	أطباء بلا حدود تصدر بياناً علنياً تعلن فيه إخلاء فرقتها من 6 مستشفيات واقعة في محافظة صنعاء وحجة وتدعو إلى تدابير فورية لضمان الحماية الفعالة للخدمات الطبية

يفيد من أجريت معهم مقابلات بزيادة مستوى ضوضاء الطائرات في المنطقة المحيطة ببلدة عبس طوال الساعات السابقة على الضربة الجوية. أشار بعض موظفي أطباء بلا حدود إلى وجود طائرات حلقت فوق مجمع المستشفى قرب وقت الصلاة (أي حوالي الساعة 3:12 م بالتوقيت المحلي). قبل ذلك، حوالي الساعة 3:00 م والساعة 3:15 م بالتوقيت المحلي، نُفذت ثلاث ضربات جوية بين قرى الربوع والبيضاء اللتين استهدفتا فيما مضى. وصلت تقارير حول الضربات الجوية إلى مستشفى عبس، مشيرة في البداية إلى ضربة أصابت سوقاً في بني حسن؛ وبالتالي تم تفعيل خطة إدارة الإصابات الجماعية. المقصود بالإصابات الجماعية أي حادثة يفوق فيها عدد الإصابات وشدها الموارد المتاحة للخدمات الطبية الطارئة كالأفراد والتجهيزات. سعى موظفو مستشفى عبس إلى الحصول على تأكيد للضربة الجوية من خلال تواصلهم مع أشخاص في بني حسن، وقد بين هؤلاء الموقع الفعلي للهجوم وأشاروا إلى عدم توقع إصابات جماعية لعدم وقوعه في منطقة مأهولة مكتظة. وبناء على ذلك تم تعطيل خطة إدارة الإصابات الجماعية.

ظلت أصوات الطائرات النفاثة تُسمع في منطقة بلدة عبس. وحوالي الساعة 3:35 م بالتوقيت المحلي، أحضرت سيارة مدنية - حددها شهود عيان بأنها سيارة من فئة تاكسي المدينة الأبيض ومن طراز تويوتا كورولا - مرضى ذكروا أنهم أصيبوا في

ضربات جوية سابقة في المنطقة الواقعة بين البيضاء والربوعة. لم يتمكن التحقيق من التأكد بما لا يدع مجالاً للشك من عدد الأشخاص الذين كانوا موجودين في السيارة ولا جسامه الإصابات، لكن كان عددهم على الأرجح بين 2 و4 أشخاص.

تمت معاينة السيارة عند البوابة من قبل حارس قسم الطوارئ بالمستشفى الذي يفيدون بأن الأشخاص الذين كانوا يستقلونها كانوا يرتدون ملابس مدنية وأنه لم تكن هناك أسلحة ظاهرة للعيان داخل المركبة. في منطقة الفرز والتصنيف، توجه الطاقم الطبي التابع لأطباء بلا حدود إلى السيارة ثم راجع وجود أماكن متاحة في قسم الطوارئ، الذي كان ممتلئاً، وبعد ذلك توجه إلى غرفة اللوجستيات لإحضار مرتبة/نقالة لإنزال الجرحى. في هذه اللحظة تحديداً، أي الساعة 3:40 م بالتوقيت المحلي، وقعت الضربة الجوية، حيث ارتطم الصاروخ بمكان توقف السيارة بالضبط. لم يتضح من التحقيق ما لو أن جميع الأشخاص المصابين كانوا ما زالوا داخل السيارة لحظة الارتطام أو ما إن كان واحد منهم أو أكثر تمكن من السير إلى قسم الطوارئ بلا مساعدة.

كان الانفجار شديد القوة، إذ خلف حفرة كبيرة، وأحس به الناس في عموم المستشفى، حيث تحطم زجاج النوافذ على الرغم من الغلاف الواقي من الانفجارات الموضوع عليه. لكن مبنى قسم الطوارئ صمد إلى حد كبير أمام الانفجار ولم يتعرض أي من المباني المحيطة للانهيار نتيجة الانفجار.



وقت حدوث الضربة الجوية، كان ثلاثة من طاقم أطباء بلا حدود الدولي موجودين في المستشفى في غرفة العمليات وفي جناح الأمومة، الذي احتشدت فيه مجموعة كبيرة من أفراد الطاقم الوطني للتدريب. أما بقية طاقم أطباء بلا حدود الدولي فكان موجوداً في مكتب أطباء بلا حدود في شفر. في مكتب أطباء بلا حدود، تلقى مساعد المنسق الميداني اتصالاً من المستشفى الساعة 3:45 م للإبلاغ عن الضربة الجوية. تبعاً لبروتوكولات أطباء بلا حدود، أُجري اتصال برئيس بعثة أطباء بلا حدود في صنعاء من أجل إقامة اتصال بمكتب اتصال أطباء بلا حدود في جيبوتي المسؤول عن جميع الاتصالات مع لجنة الإخلاء والعمليات الإنسانية التابعة للتحالف الذي تقوده السعودية. جرى المزيد من الاتصالات المباشرة بين طاقم أطباء بلا حدود في مستشفى عيس ومكتب أطباء بلا حدود الساعة 4:00 م وصدرت تعليمات لجميع أفراد الطاقم بالاحتماء في غرفة العمليات وفقاً للبروتوكولات الأمنية.

تحقق اتصال بين مكتب أطباء بلا حدود في شفر ومكتب اتصال جيبوتي الساعة 4:12 م وجرى أول اتصال هاتفي بلجنة الإخلاء والعمليات الإنسانية الساعة 4:15 م. كان مفاد الرد الأولي الذي تلقاه المعنيون من لجنة الإخلاء والعمليات الإنسانية أن الحادثة التي وقعت في مستشفى عيس لم تكن ضربة جوية بل صاروخ أطلقته الميليشيات الحوثية. طلب مكتب اتصال أطباء بلا حدود سحب الطائرات العسكرية من المنطقة لكي تتمكن الفرق الطبية من العناية بالجرحى وإخلاء مستشفى عيس. أفادت لجنة الإخلاء والعمليات الإنسانية بأنها ستعاود الاتصال ومعها معلومات، لكن عندما مضت 15 دقيقة دون تلقي هذا الاتصال، أُجري اتصال هاتفي جديد بلجنة الإخلاء والعمليات الإنسانية أشارت اللجنة أثناءه أنها تجري بالفعل اتصالاتها بالقوة الجوية التابعة للتحالف الذي تقوده السعودية. وأخيراً تلقى مكتب جيبوتي اتصالاً الساعة 4:51 م من جنرال سعودي يبلغ المكتب بسحب الطائرات النفاثة من منطقة عيس. وفي الساعة 4:57 م - أي بعد الضربة الجوية بساعة و17 دقيقة - جاء

اتصال ثانٍ من الجنرال السعودي أفاد بتعليق العمليات العسكرية لمدة 3 ساعات مُددت فيما بعد إلى 4 ساعات. في هذه المكالمة ذاتها تلقت أطباء بلا حدود ما يفيد بأن الهدف كان المركبة التي وصلت قبيل الضربة الجوية.

في الساعة 4:59 أبلغ ضابط اتصال جيبوتي فريق أطباء بلا حدود بسحب القوة الجوية التابعة للانتلاف الذي تقوده السعودية من بلدة عيس، وتهيأ الفريق للتحرك إلى مستشفى عيس فوصله الساعة 5:25 م.

في غضون ذلك، كان قد بدأ بالفعل في مستشفى عيس نقل المرضى إلى العيادات الخاصة القريبة والمراكز الصحية الأخرى بمركبات خاصة. وأما المرضى الآخرون المصابون إصابات شديدة فقد أتي بهم إلى غرفة العمليات لتحقيق استقرار حالتهم قبل أن يتسنى نقلهم إلى مستشفيات أخرى للعلاج. في الساعة 4:15 م وصلت المجموعة الأولى من الطاقم الوطني إلى مكتب أطباء بلا حدود وبصحبتها ثلاثة مصابين وجثة موظف أطباء بلا حدود القتيل. أنشئ مركز اسعاف في قاعة الاجتماعات تحت إشراف طبيب الطوارئ في أطباء بلا حدود الذي كان في المكتب ساعة وقوع الهجوم يجري مقابلات لشغل وظيفة شاغرة بالمستشفى.

تم إخلاء جميع الكوادر الطبية من مستشفى عيس الساعة 6:00 م، وفي الساعة 6:45 م غادر فريق أطباء بلا حدود أيضاً المستشفى.

عواقب الضربة الجوية على مستشفى عيس

خلف الهجوم الذي وقع في 15 أغسطس/آب 2016 على مستشفى عيس 19 قتيلاً من ضمنهم أحد موظفي أطباء بلا حدود، و24 جريحاً. نجمت 13 حالة وفاة من هذه الوفيات عن إصابات بشظايا، واحترق شخصان داخل السيارة، أحدهما كان طفلاً، وتم العثور على أجزاء من أشلاء الوفيات الأربع المتبقية. وأما المصابون الذين نجوا من الانفجار فقد نتجت غالبية إصاباتهم عن شظايا أو عن الانهيار الجزئي للإنشاءات التي طالتها الضربة الجوية. انظر الجداول أدناه للاطلاع على تفاصيل حول ضحايا الهجوم المباشرين.

الجدول 1: علاقة الوفيات والإصابات حسب الحالة

موظفو أطباء بلا حدود		وزارة الصحة (بحافز من أطباء بلا حدود)		موظفو وزارة الصحة (متطوعون)		مرضى/ مقدمو رعاية	
قتلى	مصابون	قتلى	مصابون	قتلى	مصابون	قتلى	مصابون
1	6	0	2	0	3	18	13

الجدول 2: علاقة الوفيات والإصابات حسب السن

السن			
بالغون		أطفال	
قتلى	مصابون	قتلى	مصابون
5	4	14	20

الجدول 3: علاقة الوفيات والإصابات حسب نوع الجنس

نوع الجنس					
الذكور		الإناث		غير معروفة	
قتلى	مصابون	قتلى	مصابون	قتلى	مصابون
16	20	1	4	2	0

علاوة على ذلك، عانى المرضى الذين كانوا يعالجون من حالات حرجة في المستشفى ساعة الضربة الجوية من آثار طبية سلبية أثناء فرارهم من المنشأة في لحظات الفوضى التي عمت المكان في أعقاب ارتطام الصاروخ، فمات طفل مبتسر واحد على الأقل وهو في طريقه إلى منشأة صحية أخرى بعدما فر أبواه من الدمار.

كان تعطل تقديم الخدمات الصحية أيضاً كبيراً في الأيام التي تلت الهجوم، في ظل انخفاض أفراد أطباء بلا حدود والضرر الذي لحق بالإنشاءات المادية بالمستشفى. وقد أُغلق المستشفى فور الهجوم. لدى وقوع الهجوم لاذ جميع المرضى بالفرار. وظل المستشفى خالياً ولا يعمل لمدة 11 يوماً. في 26 أغسطس/آب أعيد افتتاح خدمات قسم الطوارئ وقسم الأمومة والمختبر. ومع ذلك فقد انخفض التردد على المستشفى انخفاضاً كبيراً إذ ما زال المرضى يشعرون بعدم الأمان داخل المنشأة (انظر الجدول أدناه). كمثال للتوضيح نقول إنه في يوم 29 أغسطس/آب، وقفت امرأة، كانت في المرحلة الأخيرة من المخاض ومهية للوضع، على قدميها وفرت من المنشأة عندما سمعت طائرة تحلق قريباً، وقد وضعت مولودها على الأرجح في مكان ما بين المستشفى وبيتها. بعد ذلك بأسبوعين، وبعد إجراء بعض أعمال إعادة التأهيل، أعيد افتتاح خدمات أخرى وبدأت أعداد المرضى المترددين على المستشفى تزداد تدريجياً.

جدول: مقارنة الحالات التي يتم إدخالها يومياً حسب القسم

رقم مسلسل	القسم	قبل الضربة الجوية (بيانات يوليو/تموز)	بعد الضربة الجوية (افتتاح جزئي للمستشفى)
1	قسم الطوارئ	على الأقل 35 حالة يومياً	4-2 حالة يومياً
2	الأمومة	على الأقل 6 ولادات يومياً	2-1 حالة يومياً
3	غرفة العمليات	3-2 حالة في المتوسط يومياً	0
4	العيادات الداخلية لطب الأطفال	4-3 حالة يومياً	0
5	العيادات الداخلية للجراحة	3-2 حالة يومياً	0

بعد إمعان نظر وتقييم دقيق للوضع الأمني على الأرض، واعتبار أن المنشآت الطبية لم تكن آمنة للمرضى والطواقم، اتخذت أطباء بلا حدود في 18 أغسطس/آب قراراً مؤلماً بإخلاء فرقها من ستة مستشفيات في محافظتي حجة وصعدة في شمال اليمن، بما في ذلك مستشفى عبس.

على الرغم من أن المستشفى يظل مفتوحاً تحت إدارة وزارة الصحة وتواصل دعم أطباء بلا حدود للمستشفى بالحوافز والوقود والأدوية، أثر هذا السحب لعدد كبير من الموارد البشرية المؤهلة سلباً على توافر الرعاية الصحية وجودتها. العواقب وخيمة بوجه خاص على المرضى الذين يحتاجون إلى إحالة إلى المستشفى ومنها والذين لم يعودوا يتمتعون بوسيلة نقل طبية بالمجان.

نتائج التحقيق بخصوص وضع الحماية الذي يتمتع به المستشفى بموجب القانون الدولي الإنساني

لم يكشف التحقيق عن أي تغيير طرأ على السير الطبيعي لأنشطة المستشفى وللأمور في بلدة عبس في الأسبوع والأيام التي سبقت الهجوم على المستشفى في 15 أغسطس/آب ويمكن اعتباره إنذاراً بالهجوم أو باعتماداً عليه.

حدثت زيادة في الضربات الجوية في مديرية عبس وكذلك في عموم البلد في أعقاب النهاية الفاشلة للجولة الأخيرة من محادثات السلام في الكويت في 6 أغسطس/آب. خلال الأسبوع الأول من أغسطس/آب، وقعت ضربتان جويتان في مديرية عبس، إحداهما في المنطقة بين البيضاء والربوعة والأخرى في مزارع الجر. في الأسبوع السابق على الهجوم على مستشفى عبس، أفادت فرقنا عن وقوع 11 ضربة جوية في مديرية عبس: 6 على قاعدة عبس العسكرية و1 في شفر على بعد حوالي 2 كم من مكتب أطباء بلا حدود والبقية في مزارع الجر ومطولة. لكن لم يلاحظ أي تصعيد للعنف في بلدة عبس ذاتها، وقد ظل تدفق المرضى على المستشفى مستقراً.

في الثماني والأربعين ساعة السابقة على الهجوم، لم تكن هناك زيارات رسمية للمستشفى ولم تمر شخصيات مهمة عبر البلدة ولم يكن هناك أي نشاط عسكري غير طبيعي ولا حركة غير معتادة للأهالي في المنطقة ولم تحدث زيادة في المرضى من مصابي الحرب.

الأهم من هذا كله أن التحقيق وجد أن المستشفى لم يفقد وضع الحماية الذي يتمتع به بموجب القانون الدولي الإنساني. وفيما يلي النتائج التي تعضد هذا:

(1) كان مستشفى عبس منشأة طبية تعمل بكامل طاقتها في تقديم جميع الخدمات المتاحة للمجتمع المحلي.

في لحظة الهجوم وفي الأيام السابقة عليه، كانت جميع خدمات المستشفى تسير كالمعتاد. عندما وقع الهجوم كان يوجد 23 مريضاً في جناح الجراحة و25 في جناح الأمومة و12 في جناح طب الأطفال و13 طفلاً حديث الولادة في مستشفى عبس. ويظهر استعراض البيانات الطبية الخاصة بالأشهر السابقة على الهجوم زيادة في عدد الاستشارات في جميع الأقسام عدا الأمومة في يوليو/تموز مقارنة بالشهر السابق. في يوليو/تموز، تم إدخال 75 مريضاً إلى قسم الأطفال (من بينهم 32 حالة تتعلق بأمراض حديثي الولادة) وأجريت إجمالاً 153 جراحة من بينها 31 عملية قيصرية (20 في المائة من جميع التدخلات الجراحية). بيانات أغسطس/آب ليست متاحة؛ نظراً لاحتراق كثير من السجلات الطبية بفعل الهجوم.

(2) كانت هوية المستشفى محددة كما ينبغي، بالشعارات ومن خلال تبليغ إحدائيات نظام جي بي إس على السواء.

تم إبلاغ موقع مستشفى عبس لجميع أطراف الصراع وتم تبادل إحدائيات نظام جي بي إس بانتظام مع التحالف الذي تقوده السعودية من خلال لجنة الإخلاء والعمليات الإنسانية منذ بداية أنشطة أطباء بلا حدود في المنشأة قبل الهجوم الذي وقع في 15 أغسطس/آب 2016 بأكثر من سنة. وقد صادف أحدث تبليغ لإحدائيات نظام جي بي إس فيما يخص جميع عمليات أطباء بلا حدود يوم 10 أغسطس/آب، تلاه تبليغ إحدائيات معدلة في اليوم التالية (بإضافة الإحدائيات الخاصة بخزان مياه). يقع مجمع مستشفى عبس داخل منطقة محاطة بسياج ولها بوابة وتحمل شعار أطباء بلا حدود على المدخل، كما رُسم شعار أطباء بلا حدود على أسقف العديد من المباني.



(3) لا مساس بحيادية المستشفى

لم تستضف المستشفى أي أنشطة سياسية أو عسكرية وكانت تطبق سياسة صارمة فيما يخص الخلو من الأسلحة.

كان طاقم أطباء بلا حدود الدولي، بما فيه أحد منسقي المشروعات، موجوداً على الأرض في مستشفى عبس منذ بداية الأنشطة التي تدعمها أطباء بلا حدود في يوليو/تموز 2015؛ مما كفل الرصد الدقيق لجميع الأنشطة الطبية والتشغيلية داخل المستشفى والاستعراض الشامل للإنشاءات المادية بالمستشفى لضمان عدم استخدام أي جزء منها في أنشطة غير طبية. علاوة على ذلك، وضمت الرقابة على مخزون صيدلية المستشفى عدم إمكانية تسريب الأدوية أو المستلزمات الطبية إلى الأطراف الأخرى أو تحويل مسارها للاستخدام خارج المستشفى.

وقد كفل التعاون الوثيق بين عمال أطباء بلا حدود وكوادر وزارة الصحة الذين يتلقون حوافز من المنظمة، بما في ذلك التعاون مع مدير المستشفى، سرعة اكتشاف والتبليغ عن أي مخالفة محتملة من حيث نقل الأصول أو وجود أفراد غير مأذون لهم أو ممارسة أنشطة محظورة كالتجمعات السياسية أو العسكرية داخل المنشأة. لم يكتشف التحقيق أي وقائع من هذا القبيل، بل على العكس، إذ يبدو أن جميع التدابير الممكنة طبقت لضمان شفافية وحيادية أداء مستشفى عبس كمنشأة طبية تتمتع بالحماية بموجب القانون الدولي الإنساني.

منذ أن بدأت أطباء بلا حدود دعم مستشفى عبس في يوليو/تموز 2015، طبقت فيه سياسة صارمة فيما يخص الخلو من الأسلحة. فبالإضافة إلى الفحص الأمني عند المدخل حيث يتعين التخلي عن جميع الأسلحة، بما في ذلك الجنبات¹، قبل دخول المنشأة، لا يُسمح بوجود أفراد عسكريين أو مركبات عسكرية داخل المنشأة. وفي حالة تفعيل خطة إدارة الإصابات الجماعية، يُسمح بدخول المركبات العسكرية إلى منطقة الانتظار لإنزال المصابين لكن يجب أن تغادر أرض المستشفى فوراً، ولا يُسمح لها بالتمركز بالقرب من المستشفى. لا يُسمح لأي مركبات خارجية بالبقاء متمركزة داخل محيط المنشأة بما يتجاوز الوقت اللازم لإدخال المرضى أو إخراجهم.

عقد فريق عبس التابع لأطباء بلا حدود لقاءات دورية مع السلطات المحلية ومدوبين عن الحوثيين على الأرض لمناقشة أهمية الحفاظ على حيادية المستشفى وضمان احترام سياسة الخلو من الأسلحة في عبس. على الرغم من صعوبة العلاقات مع الحوثيين في أجزاء كثيرة من البلد، أفاد الفريق بوجود تواصل سلس وهادئ تماماً معهم في مديرية عبس. لم يبلغ كادر أطباء بلا حدود عن أي صعوبات أخرى أو تحديات خارجية أمام تنفيذ تدابير بروتوكول الحيادية أثناء سير التحقيق. لا يحتوي سجل الوقائع الخاصة بالبعثة على أي أحداث مهمة اعتراضاً على سياسة الخلو من الأسلحة. وفقاً لجميع الأشخاص الذين أجريت معهم مقابلات دون استثناء، كانت أهمية الحفاظ على الحيادية في مستشفى عبس من أجل حماية سلامتها المادية مفهومة جيداً من جميع الأطراف على الأرض. وبالتالي فإن بروتوكولات وسياسات حيادية أطباء بلا حدود كانت تعتمد على الدعم الكامل من الحوثيين المحليين وممثلي وزارة الصحة وكادر المستشفى والمرضى.

فيما يخص تمتع أطباء بلا حدود بالقبول من جانب المجتمع المحلي، قال جميع موظفي أطباء بلا حدود الوطنيين والدوليين في مستشفى عبس إن المجتمع المحلي كان شديد الترحيب تجاه أطباء بلا حدود، وكان راضياً بشدة عن الزيادة في جودة الخدمات الطبية وتحسن جودة الرعاية الطبية المقدمة في المستشفى. كان توفير العلاج وخدمة النقل بالمجان للمرضى المحالين الآتين إلى مستشفى عبس من المناطق النائية محل تقدير كبير في منطقة يمنية تعاني من مستويات فقر عالية ومعدلات سوء تغذية هائلة وافتقار شديد إلى الرعاية الصحية الكافية. وأخيراً وليس آخراً، كان هناك إيمان مشترك بين الكادر المحلي وأهالي عبس ومرضى المستشفى بأن الدعم الذي تقدمه أطباء بلا حدود إلى المنشأة والوجود الدائم لطاقمها الدولي سيسبغ على مستشفى عبس الحماية من الضربات الجوية.

(4) عدم تلقي إخطار أو إنذار بالهجوم الوشيك

لم تتلق الفرق على الأرض ولا ضابط الاتصال في جيبوتي أي إنذار بشأن هجوم على مجمع المستشفى. على الرغم من أن أطباء بلا حدود تؤمن إيماناً قوياً بعدم وجود مبرر مشروع لمهاجمة المستشفى، فإنه حتى لو كان هناك مبرر، كان يجب مع ذلك أن يكون هناك إنذار مسبق من أجل السماح بإخلاء المرضى.

نتائج التحقيق بخصوص مرتكب الهجوم ودوافعه

(1) ارتكب الهجوم التحالف الذي تقوده السعودية

- a. كان الهجوم عبارة عن ضربة جوية، والطرف الوحيد الذي يملك قدرة عسكرية في هذه الحرب هو التحالف الذي تقوده السعودية.
- b. وقد اعترفت السلطات العسكرية التابعة للتحالف الذي تقوده السعودية بالهجوم بعد وقوعه بدقائق أثناء حديث مع ضابط اتصال أطباء بلا حدود في جيبوتي.

¹ الخناجر اليمنية التقليدية

2) وعلى ما يبدو أن هدف الهجوم كان السيارة التي دخلت مجمع المستشفى قبل الضربة الجوية بحوالي خمس دقائق. لكن بصرف النظر عن الهدف المقصود، فنظراً لأن المركبة كانت داخل مجمع مستشفى، فإن هذا يشكل هجوماً على منشأة طبية محمية.

- a. أشار الجنرال السعودي أثناء حديثه مع ضابط اتصال أطباء بلا حدود في جيبوتي إلى أن هدف الضربة هو السيارة
- b. وقد سقط المقذوف على السيارة ودمرها تماماً
- c. ضرب الهجوم عرض الحائط بالطبيعة المحمية التي يتمتع بها المستشفى

الاستنتاجات

كانت الضربة الجوية التي شنت على مستشفى عبس في 15 أغسطس/آب 2016 هجوماً غير مبرر ولم يسبقه استفزاز من جانب التحالف الذي تقوده السعودية. كانت أطباء بلا حدود قد اتخذت كل التدابير الممكنة لحماية أداء المستشفى وطاقمه بشكل طبيعى وحياديته.

بصرف النظر عما إذا كانت الضربة الجوية استهدفت المستشفى أم السيارة، فإن الهجوم لم يكن مشروعاً.

استناداً إلى الأدلة التي تم الحصول عليها أثناء هذا التحقيق، لا يوجد ما يشير إلى أن مستشفى عبس فقد وضعه المتمتع بالحماية بموجب القانون الدولي الإنساني. وبالتالي كان تنفيذ الهجوم على المستشفى من دون سبب مشروع ومن دون سابق إنذار انتهاكاً لقواعد القانون الدولي الإنساني.

وبالتالي تدعو أطباء بلا حدود جميع أطراف الصراع إلى احترام بعثتها الطبية ووضعها المتمتع بالحماية بموجب القانون الدولي الإنساني، وتنفيذ/ احترام قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 2286 الذي أكد مجدداً على الالتزامات في هذا الصدد. علاوة على ذلك فمن الأهمية الحاسمة إجراء تغييرات عاجلة في قواعد الاشتباك التي يطبقها التحالف لضمان سلامة الكوادر الطبية والمرضى والأصول والبنية التحتية في سياق الحرب النشطة ومن أجل السماح بالاستمرار في تقديم الخدمات الإنسانية على الأرض. أخيراً ومع ترحيب أطباء بلا حدود بالتحقيقات الداخلية، فإنها تطلب تحقيقاً مستقلاً وعاجلاً ونزيهاً في الملاحظات المحيطة بالضربة الجوية على مستشفى عبس وتطالب جميع الأطراف بدعمه.

من المهم أن نسلط الضوء على أن استجابة التحالف بعد الواقعة وإعلان أطباء بلا حدود الإخلاء من شمال اليمن كانت مشجعة، وقد اتخذت خطوات ملموسة وإيجابية من ضمنها تحقيق فوري ودعوة لمناقشة النتائج والتزام بإجراء تغييرات ملموسة. ومازلنا ننتظر كي نرى ما إذا كانت هذه النوايا سترجم إلى مستوى أكبر وأكثر فعالية من الحماية للبعثة الطبية وإلى انخفاض في الأضرار التبعية.